الحديث الأول

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان**». رواه البخارى ومسلم

راوى الحديث :

راوى هذا الحديث هو الصحابى الجليل عبد الله بن عمر ابن الخطاب – رضى الله عنهما – أحد العبادلة الأربعة وهم: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله ابن عباس، وعبد الله بن الزبير – رضى الله عنهم أجمعين –

وقد ولد عبد الله بن عمر قبل البعثة، وأسلم مع أبيه، وهو فى مقتبل العمر، وهاجر معه إلى المدينة، ولم يشارك فى غزوة بدر وغزوة أحد لصغر سنه، ولكنه شارك فى غزوة الخندق وما بعدها.

وكان من فقهاء الصحابة وعبادهم، فقد حج ستين حجة،

obeikandi.com

واعتمر ألف عمرة، وأنفق المال الكثير في سبيل الله طمعًا في ثوابه، وابتغاء مرضاته.

المعنى الإجمالي

في هذا الحديث يبين رسول الله ﷺ أن الإسلام قد أسس، وارتفع بناؤه على هذه الأمور الخمسة: إفراد الله – عز وجل – بالألوهية، والإقرار بأن محمداً ﷺ رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

فمن أتى بهذه الأمور، وعمل بمقتضاها، فقد كمل إيمانه، وحسن إسلامه، ونجا (إن شاء الله تعالى) من النار، ودخل الجنة بفضل الله ورحمته، فقد روى أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» قال: والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا شيئًا أبداً ولا أنقص منه فلما ولى قال النبي ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا». رواه مسلم

مباحث لغوية :

(الإسلام) نائب فاعل أى بناه الله تعالى.

(على خمس) بتذكير العدد فيكون المعدود مؤنثًا أى خمس خصال أو قواعد، وقد روى (خمسة) بالتأنيث فى رواية لمسلم جاء فيها «... بنى الإسلام على خمسة أن يوحد الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج...».

وعليها يقدر المعدود مذكرًا أى خمسة أركان أو أصول، ويصح تقدير المعدود مذكرًا، أو مؤنثًا على كل من الروايتين (خمس وخمسة) لأن المعدود إذا لم يذكر يجوز تذكير العدد وتأنيثه كما فى قوله ﷺ: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًّا من شوال كان كصيام الدهر» أى ستة أيام، وكما فى قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا** ﴾ [البقرة: ٢٣٤] أى عشرة أيام.

(أن لا إله إلا الله) (أن) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن و(لا) نافية للجنس و(إله) اسمها، وخبرها محذوف تقديره موجود – مثلاً – ولفظ الجلالة مرفوع على أنه بدل من الضمير فى الخبر، والجملة خبر (أن).

(وإقام الصلاة) أصل إقام إقامة مصدر أقام حذفت منه التاء، وهو مصدر مضاف إلى مفعوله. والصلاة فى اللغة الدعاء قال تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال ﷺ: «الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى مصلاه الذى يصلى فيه تقول: اللهم صل عليه اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، ما لم يحدث، أو يخرج من المسجد».

(إيتاء الزكاة) إيتاء مصدر آتى أى أعطى والزكاة اسم مصدر من الفعل زكى ومعناها فى اللغة الطهارة والنماء.

(وحج البيت) أى قصد بيت الله بمكة المكرمة.

(وصوم رمضان) صوم مصدر الفعل صام ومعناه فى اللغة أمسك، ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ [مريم: ٢٦] أى إمساكًا عن الكلام.

(ورمضان) أى شهر رمضان ويجمع على رمضانات، ورمضانون وأرمضة.

ملامح بلاغية :

جملة ﷺ خبرية لفظًا إنشائية معنى وهى دعاء إلى الله عز وجل أن يصلى، ويسلم على عبده ورسوله محمد ﷺ.

والتعبير عن الإنشاء بالخبر يفيد توكيد الكلام وتقريره؛ لأن فيه إبرازًا للمطلوب في صورة الواقع الموجود. قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] «فإن قلت: فما معنى الإخبار عنهن بالتربص؟ قلت هو خبر فى معنى الأمر، وأصل الكلام وليتربص المطلقات، وإخراج الأمر فى صورة الخبر تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص، فهو يخبر عنه موجوداً، ونحوه قولهم رحمك الله أخرج فى صورة الخبر ثقة بالاستجابة، كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها..»[١].

فكأن المؤمن الذي يدعو الله أن يصلى ويسلم على رسوله الكريم يشعر فى قرارة نفسه أن الله قد استجاب دعاءه، وحقق مبتغاه، فهو يخبر عنه موجوداً، ومعلوم أن المؤمن يدعو الله وهو موقن بالإجابة.

والمسلمون جميعًا مأمورون بالصلاة والسلام على نبيهم ﷺ فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

---

(١) الكشاف ١/١٣٧.

(بنى الإسلام) يمكن أن تجرى فى (الإسلام) استعارة مكنية وهى التى يحذف فيها المشبه به ويرمز إليه بشيء من لوازمه حيث شبه الإسلام ببيت شامخ البناء قوى الدعائم والأركان ثم حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو البناء، وإثبات البناء للإسلام تخييل، ويمكن أن تجرى فى (بنى) استعارة تصريحية تبعية، فيقال : شبه ثبات الإسلام، واستقراره ببناء البيت المحكم، ثم استعير البناء لثبات الإسلام، واستقراره، ثم اشتق منه بنى بمعنى ثبت واستقر، وفيها استعارة المحسوس للمعقول، وتلاحظ أنها تصريحية، لأنه صرح فيها بالمشبه به، وتبعية لأنها فى الفعل الماضى (بنى).

(لا إله إلا الله) وفى كلمة التوحيد قصر صفة الألوهية على الله تعالى قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا بطريق النفى والاستثناء، نفى الألوهية عن كل ما سوى الله تعالى وإثباتها له، وحده.

شرح وبيان

يلاحظ أن جملة (رضى الله عنهما) فى الحديث وهى جملة دعائية وردت بضمير المثنى فى (عنهما) لأن راوى الحديث، وأباه كانا صحابيين وهما عبد الله بن عمر، وأبوه عمر ابن الخطاب.

وينبغي لمن ذكر صحابيًّا، وكان لأبيه صحبة أن يترضى عنهما؛ لأن الصحابة هم أفضل هذه الأمة، وهم الذين تحملوا عبء نشر الإسلام وبذلوا في سبيله كل غال وثمين، ولن يبلغ أحد من أفراد الأمة مهما علت منزلته معشار فضلهم، وعطائهم - رضى الله عنهم أجمعين -

(بنى الإسلام) يبدو أن كلمة الإسلام فى الحديث تشمل الإيمان أيضًا؛ لأنه من غير المعقول أن يقصد من شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله مجرد نطق اللسان، دون إيمان القلب واعتقاده الجازم بمدلولهما، والإيمان، والإسلام وإن اختلفا فى المفهوم إلا أنهما متلازمان شرعا، فلا يوجد أحدهما دون الآخر فى ميزان الشرع، وإن كان النطق بالشهادتين يعتبر دليلا على الإسلام فى ظاهر الأمر.

(على خمس) قد يتساءل إذا كان الإسلام هو هذه الأركان الخمسة فكيف يقال: بنى الإسلام عليها والمبنى غير المبنى عليه؟ ويجاب عن ذلك بأن على بمعنى من أى بنى الإسلام من هذه الخمسة، وأيضًا فإن هذه الأمور ليست هى الإسلام كله، بل هى أسسه الأصيلة، وقواعده المتينة، وهى تمثل الحد الأدنى لعمل

المسلم، وقد فتح الله أبواب الخير، والأعمال الصالحة على مصاريعها لمن أراد الاستزادة منها، فهِمَمُ الناس متفاوتة، وقدراتهم مختلفة، وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم، ومن حكمة الله عز وجل أنه جعل الجنة درجات، ليتسابق إليها المتسابقون ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾ [المطففين: ٢٦] .

ولم يذكر الجهاد من هذه القواعد وهو فى ذروة أعمال الإسلام؛ لأنه فرض كفاية، إذا قام به البعض، سقط عن الباقين، ولا يكون فرض عين إلا فى أحوال معينة، ولا يجب على كثير من أصحاب الأعذار.

(شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) جاء فى لسان العرب (لابن منظور) أن الشهادة خبر قاطع، ونقل عن بعض اللغويين فى قول المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، أعلم أن لا إله إلا الله، وأبيّن أن لا إله إلا الله، وأعلم أن محمداً رسول الله، وأبيّن أن محمداً رسول الله.

وعلى ذلك تكون تلك الشهادة هى الإخبار القاطع عن علم، ويقين أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ولابد أن يوافق القلب اللسان فى هذه الشهادة حتى تكون مقبولة، فإذا لم

obeikandl.com

يوافق القلب اللسان فيها كانت زوراً، وبهتاناً؛ ولذلك رد الله شهادة المنافقين لرسول الله وحكم عليهم بالكذب فى قوله تعالى:

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١] وقد كذبهم الله؛ لأنهم قالوها بألسنتهم، ولم تؤمن بها قلوبهم.

وقد جاءت الشهادة للرسول ﷺ فى الحديث مقترنة بكلمة التوحيد، وملازمة لها؛ لأنه لابد من كلتا الشهادتين فلا تغنى إحداهما عن الأخرى، ولهذا جاءتا مقترنتين فى الأذان والتشهد.

وهذه الشهادة بجناحيها مفتاح الدخول فى الإسلام وبدونها لا يقبل من العبد صلاة، ولا زكاة، ولا صوم، ولا حج، ولا أى عمل صالح، ومن قالها حكم بإسلامه فى الظاهر والله يتولى السرائر؛ ولذلك عاتب رسول الله ﷺ أسامة بن زيد (رضى الله عنهما) عتاباً شديداً عندما قتل رجلاً قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقد جاء فى تفسير الفخر الرازى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ... ﴾ [النساء: ٩٤].

– عدةُ روايات فى سبب نزول هذه الآية :

إحداها « أن مرداس بن نهيك رجل من أهل فدك أسلم، ولم يسلم من قومه غيره، فذهبت سرية الرسول ﷺ إلى قومه، وأميرهم غالب بن فضالة، فهرب القوم وبقى مرداس لثقته بإسلامه؛ فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول[1] من الجبل، فلما تلاحقوا، وكبروا؛ كبّر، ونزل، وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم، فقتله أسامة بن زيد، وساق غنمه، فأخبروا رسول الله ﷺ، فوجد وجداً شديداً، وقال: قتلتموه إرادة ما معه، ثم قرأ الآية على أسامة، فقال أسامة يا رسول الله استغفر لى فقال: كيف وقد تلا لا إله إلا الله، قال أسامة فما زال يعيدها حتى وددت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ، ثم استغفر لى، وقال: أعتق رقبة » .

(وإقام الصلاة) أى الصلاة المعهودة، وهى خمس صلوات فى اليوم والليلة، والمراد بإقامة الصلاة المحافظة عليها فى أوقاتها، واستيفاء شروطها، وأركانها، والصلاة عماد الدين من أقامها أقام الدين ومن هدمها هدم الدين. ومن رحمة الله بعباده أنه شرع لهم صلاة التطوع؛ لتجبر النقص فى الصلوات المكتوبة.

---

(١) عاقول من الجبل منعطف منه جاء فى لسان العرب وعاقول النهر والوادى والرمل ما أعوج منه وكل معطف واد عاقول (عقل) .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة المكتوبة فإن أتمها، وإلا قيل: انظروا هل من تطوع؟ فإن كان له تطوع أكملت الفريضة من تطوعه ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك».

والمؤمن عندما يدخل الصلاة، يشعر أنه يناجى ربه، فيمتلئ قلبه بالخشوع، ويترك الدنيا وراءه ظهريا، وقد كان بعض سلفنا الصالح يستغرق فى صلاته حتى تقطع بعض أعضائه؛ فلا يحس لها ألماً، ذكر الإمام الرازى فى تفسيره أنه يحكى عن أبى حنيفة أن حية سقطت من السقف، وتفرق الناس، وكان أبو حنيفة فى الصلاة؛ فلم يشعر بها، ووقعت الأكلة فى بعض أعضاء عروة ابن الزبير واحتاجوا إلى قطع ذلك العضو، فلما شرع فى الصلاة قطعوا منه ذلك العضو فلم يشعر عروة بذلك القطع...

ثم قال الإمام الرازى مستدلاً على أن ذلك ليس مستبعداً، قال «ومن استبعد هذا فليقرأ قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**﴾ [يوسف: ٣١] فإن النسوة لما غلب على قلوبهن جمال يوسف عليه السلام، وصلت تلك الغلبة إلى حيث قطعن

أيديهن وما شعرن بذلك، فإذا جاز هذا فى حق البشر فلأن يجوز عند استيلاء عظمة الله على القلب أولى . . . » .

اللهم اجعلنا من الخاشعين فى صلاتهم، المحافظين عليها .

(وإيتاء الزكاة) أى إعطائها لمستحقيها، وهم المذكورون فى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة : ٦٠] .

وقد جعل الله الزكاة حقًّا للفقراء والمحتاجين وليست منحة من الأغنياء قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾ [المعارج : ٢٥] .

وهى تؤدى إلى التآلف، والمحبة بين الفقراء، والأغنياء، وتنزع الأحقاد والضغائن من المجتمع المسلم، فيعيش الناس فى سلام واطمئنان .

ونسبة الزكاة التى تخرج من مال الأغنياء نسبة قليلة، ربما لا تكفى حاجة المستحقين، وحاجة المجتمع المسلم المتنامية؛ ولذلك ورد أن رسول الله ﷺ قال : « فى المال حق سوى الزكاة » .

واستدل بعض العلماء على مشروعية هذا الحق بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾[البقرة: ١٧٧].

فقوله تعالى: ﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ أى المفروضة، وقوله: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ يدل على أن فى المال حقًّا سوى الزكاة.

يقول الإمام القرطبى عند تفسير هذه الآية: «قوله تعالى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ استدل به من قال: إن فى المال حقًّا سوى الزكاة، وبها كمال البر، وقيل المراد الزكاة المفروضة، والأول أصح لما خرجه الدارقطنى عن فاطمة بنت قيس قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن في المال حقًّا سوى الزكاة» ثم تلا هذه الآية ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ إلى آخر الآية، وأخرجه ابن ماجه في سننه، والترمذى فى جامعه، وقال هذا حديث ليس إسناده بذاك....».

ثم قال الإمام القرطبى: «قلت: والحديث وإن كان فيه

مقال، فقد دل على صحته معنى ما فى الآية نفسها من قوله تعالى : ﴿ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴾ فذكر الزكاة مع الصلاة، وذلك دليل على أن المراد بقوله : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ ليس الزكاة المفروضة؛ فإن ذلك كان يكون تكرار - والله أعلم -

واتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة؛ فإنه يجب صرف المال إليها » .

(وحج البيت وصوم رمضان) فى هذه الرواية تقديم الحج وتأخير صوم رمضان، وفى رواية أخرى تقديم صوم رمضان جاء فيها : « إن الإسلام بنى على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت » .

وقد أجاب الإمام النووى عن ذلك فى شرح صحيح مسلم بأنه يحتمل أن ابن عمر سمعه من النبى ﷺ مرتين مرة بتقديم الحج، ومرة بتقديم الصوم فرواه على الوجهين فى وقتين .

(وحج البيت) أى حج بيت الله الحرام بمكة المكرمة، وأداء شعائره من إحرام، وطواف، وسعى بين الصفا والمروة، ووقوف بعرفة وغير ذلك، وهو واجب على المستطيع من المسلمين

لقول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّه على النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

وقد بين رسول الله ﷺ أن الحج يجب على المسلم فى العمر مرة واحدة، فقد روى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا فقال رسول الله ﷺ : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم . . . » .

وما زاد على المرة الواحدة يعتبر تطوعًا، وقد رغب فيه رسول الله ﷺ ؛ لأنه يكفر الذنوب، وينفى الفقر؛ فقد روى عنه أنه قال : « تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة » .

ولكن حال المسلمين فى وقتنا الحاضر، وفيما يستقبل من الزمان يستدعى النظر فى أمر هذا التطوع، فقد ازداد عددهم ودخل الناس فى دين الله أفواجًا فى كل بقاع الدنيا - وهذا أمل تهفو إليه قلوب المسلمين جميعًا - وقد أدى ذلك إلى كثرة عدد

obeikandi.com

الحجاج حتى غصت بهم الأماكن المقدسة فى مكة المكرمة وما حولها، وضاقت عليهم شعابها وجبالها.

ولا زلنا نذكر الحادث الأليم الذى وقع خلال موسم الحج فى عام ١٤١٠هـ وراح ضحيته ما يزيد على أربعمائة حاج حينما تدافع الحجاج فى أحد الأنفاق التى شقتها الحكومة السعودية حول مكة، فسقط الضعفاء منهم تحت أقدام الأقوياء - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم -

من أجل ذلك ارتفعت أصوات المخلصين من علماء المسلمين، ومفكريهم يرجون إخوانهم الذين منّ الله عليهم بأداء فريضة الحج أن يكتفوا بذلك، ويتركوا حج التطوع حتى يفسحوا المجال لإخوانهم الذين يحجون حجة الإسلام، ولا يضيقوا عليهم الأماكن، ويمكنهم أن يتصدقوا بالأموال التى ينفقونها فى حج التطوع فى وجوه البر، والخير، وهى كثيرة، وتلك دعوة مخلصة جديرة بالقبول والتقدير.

(وصوم رمضان) أى الإمساك عن المفطرات بأنواعها فى نهار رمضان، وشهر رمضان شهر مبارك يضاعف الله فيه الثواب لعباده الطائعين، ويجزل لهم العطاء، وقد بين رسول الله منزلة هذا

الشهر حين خطب المسلمين فى آخر يوم من شهر شعبان وقال: «أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه يوم خير من ألف شهر. جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعًا، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن، من فطَّر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء».

وقد ظهر مما سبق أن هذه الأمور التى بنى عليها الإسلام منها ما هو قولى وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومنها ما هو غير قولى، وهو إما ترك وهو الصوم، أو فعل، وهو إما بدنى وهو الصلاة، أو مالى وهو الزكاة أو مركب منهما وهو الحج.

خاتمة حول الصلاة على النبى ﷺ:

سبق أن أشرت فى صدر الكلام عن الحديث السابق أن جملة ﷺ جملة دعائية، وهذه الجملة نجدها دائمًا مذكورة عقب اسم النبى ﷺ على أى وجه من الوجوه امتثالاً من المؤمنين لأمر الله

تعالى في قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

وقد سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ قائلاً: « أمرنا الله تعالى أن نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك؟ قال فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله ﷺ: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم » .

وهناك روايات أخرى وردت فى صيغة هذه الصلاة .

وحول حكم الصلاة على النبى ﷺ يقول الإمام القرطبى: « ... ولا خلاف فى أن الصلاة عليه فرض فى العمر مرة، وفى كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التى لا يسع تركها، ولا يغفلها إلا من لا خير فيه » .

ويقول عن حكمها فى الصلاة: « واختلف العلماء فى الصلاة على النبى ﷺ فى الصلاة فالذى عليه الجم الغفير، والجمهور الكثير أن ذلك من سنن الصلاة ومستحباتها، قال ابن المنذر: يستحب ألا يصلى أحد صلاة إلا صلى فيها على

obeikandi.com

رسول الله ﷺ فإن ترك ذلك تارك فصلاته مجزية فى مذهب مالك، وأهل المدينة وسفيان الثورى، وأهل الكوفة من أصحاب الرأى وغيرهم، وهو قول جل أهل العلم.

وحكى عن مالك وسفيان أنها فى التشهد الأخير مستحبة، وأن تاركها فى التشهد مسيئ، وشذ الشافعى فأوجب على تاركها فى الصلاة الإعادة...».

وقد جمع ابن حجر من كلام العلماء عشرة مذاهب فى حكم الصلاة على النبى ﷺ : **أولها**: أنها من المستحبات، **ثانيها**: أنها واجبة فى الجملة بغير حصر لكن أقل ما يحصل به الإجزاء مرة. **ثالثها**: تجب فى العمر فى صلاة أو فى غيرها، وهى مثل كلمة التوحيد. **رابعها**: تجب فى القعود آخر الصلاة بين قول التشهد،و سلام التحلل. **خامسها**: تجب فى التشهد. **سادسها**: تجب فى الصلاة من غير تعيين محل. **سابعها**: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد. **ثامنها**: كلما ذكر النبى ﷺ. **تاسعها**: فى كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارًا. **عاشرها**: فى كل دعاء.

معنى الصلاة على النبى :

ذكر الإمام البخارى أن أبا العالية قال: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء.

obeikandl.com

وأورد ابن حجر عدة أقوال فى معنى الصلاة على النبى:

منها: أن صلاة الله مغفرته، وصلاة الملائكة الاستغفار، **ومنها**: أن صلاة الله الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار، **ومنها**: أن صلاة الله تعظيمه فمعنى قولنا: اللهم صل على محمد عظم محمداً، والمراد تعظيمه فى الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دينه، وإبقاء شريعته، وفى الآخرة بإجزال مثوبته، وتشفيعه فى أمته...

وقال ابن حجر إن أولى الأقوال ما تقدم عن أبى العالية من أن معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه، وتعظيمه، وصلاة الملائكة، وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى، والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة.

وفائدة الصلاة من المؤمنين على النبى ﷺ ترجع إليهم، لأن الله يجزل لهم الثواب، فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى علىَّ واحدة صلى الله عليه عشراً» أى رحمه، وضاعف أجره؛ لقوله تعالى: ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾ [الأنعام: ١٦٠]

ومن أجمل ما نقله ابن حجر عن بعضهم فى هذا المعنى أن المقصود من الصلاة على النبى ﷺ التقرب إلى الله بامتثال أمره،

وقضاء حق النبى ﷺ علينا وتبع هذا القائل ابن عبد السلام فقال: ليست صلاتنا على النبى ﷺ شفاعة له، فإن مثلنا لا يشفع لمثله، ولكن الله أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا، فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء، فأرشدنا الله لـمَّا علم عجزنا عن مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه، وقال ابن العربى فائدة الصلاة عليه ترجع إلى الذى يصلى عليه لدلالة ذلك على نصوع العقيدة، وخلوص النية، وإظهار المحبة، والمداومة على الطاعة، والاحترام للواسطة الكريمة ﷺ.

ويلاحظ أن الأحاديث شبهت الصلاة على النبى ﷺ وآله بالصلاة على إبراهيم عليه السلام وآله، مع أن المقرر أن المشبه يكون دون المشبه به، والواقع عكسه لأن محمداً (ﷺ) أفضل من إبراهيم ومن آله.

وقد نقل ابن حجر فى فتح البارى عدة أجوبة عن ذلك.

منها: أن النبى ﷺ قال ذلك قبل أن يعلم أنه أفضل من إبراهيم عليه السلام.

ومنها: أنه قال ذلك تواضعًا، وشرع ذلك لأمته؛ ليكتسبوا بذلك الفضيلة.

ومنها: أن التشبيه إنما هو لأصل الصلاة بأصل الصلاة، لا للقدر بالقدر، فهو كقوله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ [البقرة: ١٨٣] ، وهو كقول القائل أحسن إلى ولدك كما أحسنت إلى فلان ويريد بذلك أصل الإحسان لا قدره، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾ [القصص: ٧٧] .

ومنها: أن قوله: اللهم صل على محمد مقطوع عن التشبيه متعلقًا بقوله: وعلى آل محمد... ويكون التقدير اللهم صل على محمد... وصل على آل محمد كما صليت إلى آخره. فيكون التشيه متعلقًا بالجملة الثانية.

ومنها: أن كون المشبه به أرفع من المشبه ليس مطردًا بل قد يكون التشبيه بالمثل وبالدون كما في قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ**﴾ [النور: ٣٥] وأين يقع نور المشكاة من نوره تعالى؟ ولكن لما كان المراد من المشبه به أن يكون شيئًا ظاهرًا واضحًا للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة، وكذا هنا لما كان تعظيم إبراهيم وآل إبراهيم بالصلاة عليهم مشهورًا واضحًا عند جميع الطوائف حسن أن يطلب لمحمد وآل محمد بالصلاة عليهم مثل

ما حصل لإبراهيم وآل إبراهيم، ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور بقوله : « في العالمين » أى كما أظهرت الصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين؛ ولهذا لم يقع فى العالمين إلا فى ذكر آل إبراهيم دون ذكر آل محمد .

وذكر ابن حجر أن « الطيبى » عبر عن ذلك بقوله : ليس التشبيه المذكور من باب إلحاق الناقص بالكامل بل من باب إلحاق ما لم يشتهر بما اشتهر .

ولعلك لاحظت أنه جاء فى رواية الحديث التى أوردتها آنفًا (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم . . .)

وجاء فى رواية أخرى للبخارى « . . . كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم » .

وقد عرض لهذه المسألة العلامة ابن حجر فى فتح البارى فذكر أنه قد يطلق آل فلان على فلان نفسه، وعليه وعلى من يضاف إليه جميعًا ثم قال : ويحتمل أن يكون بعض من اقتصر على آل إبراهيم بدون ذكر إبراهيم رواه بالمعنى بناء على دخول إبراهيم فى آل إبراهيم .

obeikandl.com

ويحسن هنا أن أنبه إلى أن بعض المؤلفين والكاتبين يشيرون إلى الصلاة على النبى ﷺ بالحرف (ص) وهم بذلك يبخلون بالصلاة على النبى (ﷺ) ويحرمون أنفسهم من فضلها وثوابها.

فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى عليَّ فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب».

فينبغى ألا نقتدى بهؤلاء المحرومين من فضل الله فى تلك العادة المرذولة. ونصلى على النبى (ﷺ) كلما ذكرناه أو ذكره الذاكرون أو خطت اسمه أيماننا فى كتاب مسطور.

وأما التسليم الذى أمر الله به عباده فى قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فقد حكى الإمام القرطبى عن بعضهم أن الله أمر أصحاب النبى ﷺ أن يسلموا عليه، وكذلك مَنْ بعدهم أمروا أن يسلموا عليه عند حضورهم قبره، وعند ذكره، ومعناه طلب السلامة له من كل سوء، أو السلام وهو الله على حفظك ورعايتك متول وكفيل به. والبركة فى صيغة الصلاة المذكورة بمعنى الزيادة من الخير والكرامة، – والله أعلم –.